الفصل الثالث:

التطبيقاتُ المعاصرةُ الخادمةُ لتمكين نظام الأسرةِ الممتدّةِ في ضوء التشريع الإسلاميّ

أنور محمد الشلتوني[1]

مقدمة:

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد: فمع تقدم الزمان وتطوّر حياة الناس في جانب المدنيّة والتقنيّة، ووسط الماديّة الصاخبة اليوم، تتطلّب المفاهيم الاجتماعيّة المهمّة مراجعة وتأصيلاً يعود بها إلى مكانتها اللائقة بها. ومن تلك المفاهيم مفهوم الأسرة الممتدّة أو ما يعرف بالعائلة، وهي الرابطة التي تشمل الأجداد والأحفاد والحواشي من إخوة وأعمام وعمات وأخوال وخالات وأبنائهم، ويرتبط فيها الإنسان بأهله، ومن سمّاهم الفقه الإسلاميّ "العصبات والأرحام والأصهار". ومما يؤرّق كلّ ذي حرص على الأمّة الإسلاميّة اليوم أن يرى نـزعات الاستقلاليّة والعزلة والانسحاب الاجتماعيّ ونحوها تطيح -أو تكاد- ببناء هو من أكثر ما حرص عليه الإسلام من خلال نصوصه وتشريعاته، فتجد القرآن الكريم يولي صلة الرحم شأناً يربط فيه بينها وبين تقوى الله ﷻ، ويجعل قاطعها والمفسد في الأرض سواء بسواء، ويتوعّده باللعنة والطرد من رحمة الله. وعندما تتأمّل السنّة النبويّة تجد صلة الرحم ركناً ركيناً في حياة رسول الله ﷺ فعلاً وقولاً، للواصل ترغيباً، وللقاطع ترهيباً، حتى عُدّ بناء "العائلة" أساساً في المجتمع الإسلاميّ

(١) دكتوراه في الفقه وأصوله، الجامعة الأردنيّة ٢٠٠٥م، أستاذ الفقه وأصوله المساعد في جامعة الشارقة/ بالإمارات العربية المتحدّة. البريد الإلكتروني: anshi75@gmail.com.

obeikan.com

القويّ صلة وتكافلاً، علماً وتعليماً، وتناقلاً لخبرات الأجيال. والأرق من الواقع المعيش، والأملُ بخيرية الأمة وعودتها لسابق عهدها في الاجتماع، هو ما حدا بي لخوض غمار بحث هذه المسألة.

ويتناول هذا البحث مفهوم الأسرة الممتدّة (العائلة)، معناه وتأصيله، وأهمية تلك الأسرة والترابط بين أفرادها، وأهمّ العوامل التي أثرت سلباً في ترابط الأفراد في الأسرة الممتدّة، ثم يعرض للتطبيقات المعاصرة التي يشهد لها الشرع الإسلاميّ بالقبول، وهي خادمة لتمكين نظام الأسرة الممتدّة، وراعية لنسيجها الاجتماعيّ المتين. وتكمن أهمية هذا البحث في أنّه يعمل على تحقيق ما يأتي:

- خدمة مفهوم اجتماعيّ قام عليه جزء كبير من الثقافة الإسلاميّة، وهو الأسرة الممتدّة.
- إسهام في ردّ الأمة إلى تطبيقات عمليّة لأمر هو من أهمّ الأمور التي ينبغي للأمّة مراعاتها، إن هي أرادت وحدتها وتماسك صفها دينيّاً واجتماعيّاً ونفسيّاً.
- ملاحظة رعاية الإسلام لوحدة الأسرة الممتدّة التي هي لبنة مهمّة من لبنات المجتمع.
- مشاركة في الجهود المبذولة في الحفاظ على هويّة الأمّة ومفاهيمها الاجتماعيّة الإسلاميّة، في مواجهة التأثّر بالثقافات الوافدة والعولمة المؤثّرة سلباً في الأفراد والمجتمعات.

أولاً: تعريف مفاهيم البحث: النظام والأسرة الممتدّة والتشريع الإسلامي

١- النظام:

مصدر أصله من الفعل (نَظَمَ) ينظِمه نظْماً ونِظاماً: ألّفه وضمّ بعضه إلى بعض، وتطلق على الخيط الذي يربط العقد من الجوهر والخرز.[1] وخلاصة ما

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم. **لسان العرب**، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ، ج١٢، ص٥٧٨.

جاء في معنى (النظام): الدلالة على التأليف والجمع والترتيب، وقد ينقل من الأمور المحسوسة إلى المعنويّة، كوصفه التآلف الاجتماعيّ بين أفراد المجموعة كالأسرة،كما هو الحال هنا.

٢- الأسرة والأسرة الممتدّة:

أ- الأُسرة لغة:

الدرع الحصينة التي يُحتمى بها، وجمعها أُسَرٌ، مشتقة من (أَسَرَ) أي شدّ بالقيد، وسمّي المأخوذ من العدو (أسيراً) لأنه يؤخذ ويوثّق بإحكام لئلّا يُفلت.[١] ويستخلص من وضعها اللغويّ تعلّقها بكل ما ربط بإحكام، كالقيد والدرع الحصينة التي تعمل على حفظ الشيء لئلّا يذهب.

ب- واصطلاحاً:

هي: مجموعة من الأشخاص ارتبطوا بالزواج أو الدمّ، مكونين الحياة الاجتماعيّة كلّ مع الآخر، ولكلّ من أفراد هذه المجموعة أدوار اجتماعيّة خاصّة به، ولهم ثقافة مشتركة ومميّزة. ولها صورتان رئيستان:

الصورة الأولى: الأُسرة النواة، أو النواتيّة،: وهي الأسرة المكونة من الزوجين وأولادهما، وتتّسم بسمات الجماعة الأوليّة، فغالبا ما تكون العلاقة في هذه الوحدة الأسريّة متينة بسبب صغر حجمها، وكذا تتّسم بالاستقلاليّة في المسكن والدخل، وتتكون من جيلين فقط. وهي وحدة اجتماعيّة مؤسِّسة للنوع الثاني من الأُسر وهو النوع الممتدّ، وتنتقل إليه بزواج الأبناء ووفاة الوالدين. وإطلاق النواة عليها تشبيه لها بالنواة التي تشكل مركز الذرّة في علم المادة والعناصر.[٢]

الصورة الثانية: الأسرة الممتدّة: وهي الأسرة التي تقوم على وحدات أسرية عدة تجمعها القرابة الدموية. والنمط الشائع لها قديماً أن تكون

(١) المرجع السابق، ج٤، ص١٧.

(٢) موسوعة ويكيبيديا، مصطلح (الأسرة) بتصرف، موقع موسوعة "ويكيبيديا" الإلكتروني.

مجتمعة في مساكن متقاربة وبخاصة في المجتمع الريفي. وقد تباعدت مساكنها في كثير من المجتمعات نتيجة تحول أفرادها من الزراعة إلى الصناعة. وتضم الأجداد والأولاد والأحفاد وأزواجهم، بما تتضمنه هذه العلاقات من أعمام وأولاد عمّ وأصهار ونحو ذلك، وهي وحدة اجتماعيّة مستمرّة، تتكون من ثلاثة أجيال وأكثر،[1] ووجه تسميتها (أسرة) يرجع لكونها مجتمعة كما هو الحال في السابق، وكان لأفرادها عمل واحد، واشتراك في الدخل والإنفاق. والغالب على تسميتها بعد تفرق مساكن أفرادها وتعدد أعمالهم واقتصاداتهم (العائلة).

٣- تعريف التشريع الإسلامي:

أ- الشَّرْعُ، وَالشَّرِيعَةُ، وَالشِّرْعَةُ فِي اللُّغَةِ: الطَّرِيقُ الظَّاهِرُ الَّذِي يُوصَلُ مِنْهُ إِلَى الْمَاءِ، يُقَالُ: شَرَعَتِ الإِبِلُ شَرْعاً وَشُرُوعاً: إِذَا وَرَدَتِ الْمَاءَ، كما تطلق على الدخول، والشريعة مورد الماء التي يشرعها الناس فيشربون منها ويستقون.[2]

ب- وَالشَّرْعُ والتشريع فِي الاصْطِلاحِ: مَا سَنَّهُ اللَّهُ لِعِبَادِهِ مِنَ الدِّينِ وَأَمَرَهُمْ بِاتِّبَاعِهِ،[3] ونسبته إلى الإسلام، أي ما اختصّ به الإسلام من النصوص والأحكام والسنن الواجب اتباعها والامتثال لها.

وبحسب ما تقدّم من توضيح لمفردات عنوان البحث وهو "التطبيقات المعاصرة الخادمة لتمكين نظام الأسرة الممتدّة في ضوء التشريع الإسلامي" فإن المقصود به: تثبيت الرباط الاجتماعيّ الذي يجمع بين أفراد العائلة التي ترتبط بقرابة الدم، وما يخدمها من تطبيقات معاصرة تقرّها نصوص الدين الإسلاميّ

---

(١) المرجع السابق، بتصرف، انظر أيضاً:
- روشة، خالد. **التربية الأسريّة في الإسلام**، موقع المسلم الإلكتروني.

(٢) ابن منظور، **لسان العرب**، مرجع سابق، ج٨، ص١٧٥.

(٣) مجموعة من العلماء. **الموسوعة الفقهية الكويتية**، الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة، ج٢٦، ص١٧.

وأحكامه، للحفاظ على هذه العائلة في ضوء التحديات والمستجدّات، التي من شأنها التأثير في هذا المفهوم الاجتماعيّ المهمّ.

ثانياً: مظاهر ضعف الأسرة الممتدّة والعوامل التي تسهم فيه

بدأت الأسرة الممتدّة في العالم العربي والإسلامي تنحو المنحى الغربي، وأصبحت عرضة للعواصف التي تعصف بالأسرة هناك. وتكفي إطلالة واحدة على الحوادث العائليّة في المحاكم وصفحات الجرائد لنكتشف بسهولة أنّ تقليد النظام العائليّ الغربيّ، والتخلي عن القيم الإسلاميّة الحضارية من شأنه أن يؤدّي إلى تفتّت نظامها وبنيانها. ويراد للأسرة المسلمة اليوم من خلال الاتفاقيات المتعدّدة كاتفاقية "سيداو"،[1] التشجيع على تفسيخ الأسرة وحلّ عراها، بقصد أو بغير قصد؛ وتأتي المادة الخامسة عشرة منها لتسمح بأن يعيش أفراد الأسرة فرادى، فهي تسمح للمرأة والبنت -بغض النظر عن الحالة الزواجية- بأن تختار سكنها منفردة بإرادتها، وإذا سمحت للمرأة والبنت بذلك فهي تسمح للرجل وللابن أيضاً بالمساواة أو من باب أولى، وهذا فيه تعريض بوحدة الأسرة، ومجاوزة لمهامّها الأساسيّة التي يجب أن تؤدّيها تجاه أبنائها، وقد يصل الأمر إلى مرحلة الاغتراب التام لأفرادها كما نرى في الغرب، حيث لا يعرف الإنسان أهله ولا يجد ما يربطه بهم. ومعلوم أن فقد الإنسان لحاجاته من الجهة المكلفة بتوفيرها يدفعه إلى البحث عن بديل يوفّرها له، وقد يضطر إلى سبل معوجّة لتوفيرها بنفسه بعد ذلك، بما يوقعه في المخالفات والمتاهات.[2]

وقد أدّى خروج الدين من النظام الأسريّ الغربي إلى التحرّر الكامل والمطلق من كلّ الالتزامات، فالرجل يعيش مع زوجته بمنطق الشراكة الماليّة،

---

(١) هي: اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة أو "سيداو" اختصاراً لكلمة "CEDAW" بالإنجليزية، وهي معاهدة دولية تم اعتمدتها الجمعية العامة للأمم المتحدة في عام ١٩٧٩م، ووقعت عليها معظم دول العالم، وتوصف بأنها وثيقة حقوق دولية للنساء (المحرران).

(٢) زيتون، منذر. "مناقشة هادئة لسيداو وبيان لأوجه معارضتها"، **جريدة السبيل الأردنية**، عمان: دار السبيل، ٢٠٠٩/٠٥/٢٥م.

وكثيراً ما يلجأ الأبناء إلى ترك ذويهم إذا بلغوا سنّ الثامنة عشرة، وعندها يستقلّ الابن بنفسه وليس ثمة ارتباط بعد ذلك بوالديه، ويحدث أن يتوفى أحد والديه فيكلف هذا الابن إحدى مؤسسات الدفن لتتولى نقل هذا الميت إلى مثواه الأخير. وسبب ذلك يعود إلى أنّ الطفل ينشأ وسط قيم ماديّة خالصة. وإذا كنَّا نعيب على المجتمعات الغربية هذه الفرديّة والأنانيّة، فقد أصبحنا نقترب منها شيئاً فشيئاً، وعند كثير من الغربيين لا يسأل الولد عن أبيه ولا أمّه، بل جعلوا للأمِّ يوماً سمَّوه عيد الأمّ، يحاول الابن أو البنت أن يهديا لأمِّهما شيئاً فيه... زجاجة عطر أو نحو ذلك، وربما يرسلانها بالبريد.(١) وعلى هذا تقاس علاقة الفرد بجدّه وجدّته وعمّه وعمّته وخالته وأولادهم -هذا إذا التقى بهم-؛ فمفهوم الحبّ -في نظر كثير من الغربيّين- جنس محض، وبمعنى آخر، فإن الحبّ فعل بيولوجيّ ماديّ لا علاقة له بالوجدان.(٢)

وعندما كان الطفل -في العالم الإسلامي- يترعرع في عائلة يلعب الدور التربويّ فيها أكثر من رجل واحد (كالجدّ والأعمام) وأكثر من امرأة (كالجدّة والعمّات) كانت فرصة لأن ينمو جسدياً ومعرفياً وعاطفياً، ويكتسب القدرة السلوكيّة على الاندماج الصحيّ في المجتمع على نحو أكثر وأفضل من الفرص التي يمكن أن يكتسبها الطفل المعتمد كلياً على أب واحد وأمّ واحدة.(٣) وهذا عائد إلى التقارب الجغرافيّ فالنفسيّ بين العائلة الممتدّة، فكثيراً ما كان يجمعها بيت واحد (وهو بيت العائلة)، والكلّ فيها متضامن متعاون، فإذا غاب الأب أو الأم لعب الأقارب دورهما على أحسن وجه. وأما أبناء العمومة والخؤولة فكانوا ينشأون مع بعضهم ويتقاسمون الطعام والمعيشة، فإذا كبروا، كبروا

(١) القرضاوي، يوسف. **ضعف العلاقات من أمراض الأمة**، موقع القرضاوي الإلكتروني.

(٢) أبو زكريا، يحيى. **مفهوم العائلة بين الإسلام والغرب**، موقع الحوار اليوم الإلكتروني. وهذا لا يعني أنّ الغرب كلّه على هذه الشاكلة، بل إنّ هناك عوائل ما زالت تطالب بضرورة العودة لمؤسسة العائلة وطرد كل دخيل.

(٣) منتدى التنمية البشرية. **واقع الأسرة المسلمة**، موقع النادي العربي الإلكتروني.

إخوة في المشاعر والمصير المشترك. واليوم وبعد نـزعة الاستقلال والبُعد عن المشكلات، بات كثير من أبناء العمّ والخال لا يلتقون إلا في مناسبات سنويّة أو -ربما- أكثر من ذلك. وتشير دراسات كثيرة اليوم إلى اضمحلال وجود الأُسَر الممتدة التي يجمعها بيت العائلة، فقد أجرى فهد الثاقب دراسة على عيّنة أُسَرٍ كويتية لم تزد فيها نسبة الأُسر الممتدة عن ٢٢٪ من العينة المدروسة، وفي بيروت وجد فؤاد خوري أنها لا تزيد عن ١٠٪، بينما كانت النسبة في عمّان متراوحة بين ١٨-٢٠٪ بحسب دراسة شجاع الأسد وعاطف خليفة، وهذا الاضمحلال كان له دور في التباعد العاطفيّ والتكافليّ بين الأقارب.[١] ولم يقف الأمر عند وَهَن العلاقات، بل إن كثيراً من المرافعات القضائية اليوم تقوم بين الأخ وأخيه والعمّ وابن أخيه والجدّ والعمّ... وهكذا، وهذا عائد لغياب دور عقلاء الأسر الممتدّة وكبرائها في الإصلاح واحتواء المنازعات قبل أن تصل لفصل القضاء، وذلك بفضل السلطة الأسريّة ونـزول أبنائها عند قرارها النهائيّ احتراماً وتوقيراً.

وإذا كانت الأسرة النواتية مهمّة في النظام الإسلامي والأعراف الصحيحة لأنها المحضن الشرعيّ للطفل؛ فإن الأسرة الممتدّة هي المحضن الشرعيّ للأسر النواتية -التي تتقاذفها التيارات العولمية لفكّها وجعلها كعقد لؤلؤ انفرطت حبّاته-.[٢] ويمكن إرجاع مظاهر الضعف في ترابط الأسرة الممتدّة اليوم إلى عوامل متعدّدة منها:

أ- الحضارة الماديّة المعاصرة، التي أثّرت سلباً في الأسرة الممتدّة بفلسفتها وسلوكاتها؛ فأصبح كلُّ امرئ يريد أن يبتعد جغرافيّاً ويستقلَّ بنفسه وبداره وبزوجته وأولاده، وتُرجع بعض الدراسات سبب ذلك إلى أن أفراد الأسرة

(١) خيري، مجد الدين. **الأسرة والأقارب (دراسة ميدانية في عمّان)**، عمّان: منشورات الجامعة الأردنية، ط٣، ١٤١٩هـ، ص٢٨.

(٢) السعيد، يوسف. **اقتراح مجلة العائلة الممتدّة**، موقع المختار الإسلامي.

الممتدّة في ازدياد، والبيوت الجامعة بينهم تضيق، ولم يعد الدخل مشتركاً كما كانت الزراعة أو التجارة تجمع بينهم، وتعقّدت متطلبات الحياة حتى آثر كثيرون الاستقلال درءاً للمشكلات، ولكنها ما انتهت، فالمشكلات مستمرَّة مع التباعد، لكنه أثّر سلباً في المودَّة التي بات نجمها في أفول.(١)

ب- **غياب دور رعاية الأقارب؛** فبناء على التباعد الجغرافيّ أصبحت الخادمة تلعب دور المربّية في كثير من البيوت بدل الجدّة والخالة والعمّة، التي كان الطفل يكنّ لها توقيراً كتوقيره لأمّه.(٢)

ت- **ضعف آثار الدين في الحياة،** وقد أدّى إلى أن أصبح الأخ يكنُّ الحقد لأخيه وابن عمه، وأصبحت الدُّنيا تُفَرِّقُ بين الأخوة، وبخاصة إذا كان بينهم تركة يُراد لها أن تُوزَّع، فكلُّ واحد يريد أن يأخذ ولا يُعطي. والدينُ يعمّق التَّسامح والإيثار ومعاني صلة الرحم وتحريم قطيعتها، وقد تجد هؤلاء الإخوة مع الغرباء أكثر تسامحاً وأعظم مودَّةً.(٣)

ث- **ضيق ذات اليد لدى بعض الأفراد،** مما أورث بعض الإشكالات منها:

- تهرّب الفرد الفقير في الأسرة الممتدّة من التواصل الاجتماعيّ، الذي يترتب عليه تبعات ماليّة، أو يترتب عليه ظهور التباين الاجتماعيّ بينه وبين أقرانه وأولاده وأولادهم.
- وقد يتهرّب بعض المقتدرين ماليّاً من الاجتماعات الدوريّة العامّة التي تشكل عبئاً ماليّاً عليهم؛ إذ هم -غالباً- المطالبون بالإنفاق والتكفّل بالحاجات.
- كثيراً ما يتسبّب الفقر والبطالة بمشكلات ماليّة نتيجة عدم سداد القروض، أو

(١) شكري، علياء وآخرون. **علم الاجتماع العائلي**، عمّان: دار المسيرة، ط١، ٢٠٠٩م، ص٢٤١. انظر أيضاً:
- القرضاوي، **ضعف العلاقات من أمراض الأمة**، مرجع سابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) القرضاوي، **ضعف العلاقات من أمراض الأمة**، مرجع سابق.

تحييد حسابات الكفلاء عن الخصم منها، مما يورث نـزاعات وخصومات بين الأقارب قد تصل إلى المحاكم والقضاء.[١]

جـ- "التكنولوجيا" المتطوّرة، سببت كثيراً من الفراغ الذي نشأ في حياة الأفراد، وكثر بسبب التقنيات الحديثة السّهر ليلاً، مما حدا بكثير من الناس إلى تبديد الوقت الزائد بأمور أضرّت بالعلاقات الأسريّة الممتدّة؛ إذ كثر القيل والقال، وذكر مساوئ فلان ومحاسن فلان، واختلط الجدّ بالمزاح حتى تهتّكت أستار الحرمات العائليّة بعد أن كان الوقت الزائد يسيراً، والسهر قليلاً، والحياة تدعو إلى مزيد من الجدّ والتحفّظ. وهذه "التكنولوجيا" شغلت وقت الناس فلم يعد يتسنّى لهم اللقاءات الأسريّة والتواصليّة إلا قليلاً، فالإنترنت تسرق الأوقات، والقنوات الفضائية تتقلب بالـمُشاهد حداً لا يُفضِّل معه الخروج والزيارة والذهاب والمجيء، وحتى إذا التقى كثيرٌ من الناس اليوم فإنهم لا يَألون يستقبلون الاتصالات ويرسلونها وسط مجالسهم ولقاءاتهم إلى أن تنتهي. وتشير دراسات اجتماعيّة أجريت على عينات من الناس إلى إدمان كثير من الناس على مواقع التواصل الاجتماعيّ، ورغبتهم في إثبات حضورهم في تلك المواقع، مما أسهم في إضعاف علاقاتهم الأسريّة بشكل كبير.[٢]

حـ- المشكلات الزوجية والعائلية، التي قد يكون من آثارها تقطيع الأرحام، فتجد بعض الأفراد لا يصل قريبه بسبب المشكلة التي وقعت بينه وبين زوجته، أو بين أخيه وزوجة أخيه، وتراكمت الخلافات، وأدّى عدم التصافي إلى مزيد من الهجر والقطيعة، وقد أظهرت دراسة ميدانيّة أجرتها عالية حبيب على عيّنة في مصر أن الخلافات الزوجيّة والعائليّة تشكّل ما نسبته ٩٥٪ من دواعي التحول الأسريّ من شكله الممتدّ إلى الشكل النوويّ، ومن ثم، ضعف العلاقات الترابطيّة والتواصليّة بين الأقارب فيه.[٣]

---

(١) حمد، محمد إبراهيم. **قطيعة الرحم المظاهر والأسباب والعلاج، موقع مفكرة المسلم.**

(٢) سبتي، عباس. **التكنولوجيا وضعف العَلاقات الاجتماعية في الأسرة،** موقع الألوكة الإلكتروني.

(٣) شكري، **علم الاجتماع العائلي،** مرجع سابق، ص٢٤٠.

خ- انحرافات الأولاد، وقد تجرّ إلى قطيعة الرحم، فذاك الولد دخل دار قريبه فسرقها، وتلك الفتاة على علاقة غير مرضيّة بفلان من أقربائها، وأولئك الأهل لا يزورون بيت فلان -من أقاربهم- خوفاً على أولادهم من ابن تلك الأسرة الذي تورّط في المخدرات، وصحبةُ السوء أدخلت كثيراً من العوائل السجون وأقسام الأمن بأنواعها.

د- سفر الأفراد للعمل، فكثيراً ما يسافر الأخ أو العمّ أو الخال أو ابن العمّ سفراً طويلاً للعمل، وقد يكون سفرُه هجرةً لدولة غربيّة، فيترتب على ذلك انقطاع شعوريّ بين الأولاد وقريبهم، وبينهم وبين أولاده، ولا يتراءون إلا مرّة في بضع سنين، وليس من السّهل أن تذهب آثار هذه الفجوة والضعف الناشئ في التواصل والتكافل.

ذ- عادات دخيلة فى بعض الأسر والبيوت، فقلّلت من التواصل والتآزر، كتحديد عدد الحضور في حفلات الزواج والولائم، وذلك لإقامتها في فنادق ومطاعم فاخرة، فأصبح حضور أفراد الأسرة الممتدّة كلّهم يتطلب إنفاقاً كبيراً، والأصل أن حفلات الزفاف ونحوها من المناسبات وسيلة للتزاور والتآزر، فلما دخلت هذه العادات على بعض الناس فرّقت بين القريب وقريبه، وتركت أثراً سلبيّاً في النفوس كان يمكن ألّا يكون. وكذلك البذخ في الهدايا إلى حدٍّ أثقل كاهل الناس، فصدّهم عن الزيارات بسبب ما قد يترتّب عليها من الهدايا والإنفاق، وما عادوا يقدُرون للهديّة رمزيتها ومعناها الحقيقيّ.[1]

ثالثاً: التطبيقات المعاصرة الخادمة لتمكين نظام الأسرة الممتدّة

١- ربط التواصل الأسريّ بتقوى الله والتمسّك بالدين:

الدين يدفع صاحبه للإحسان للعائلة وأفرادها ابتغاء مرضاة الله والأجر منه -سبحانه-، كما أن الدين في الطرف المقصود بالصلة يدفع القريب

(١) الأسطل، محمد. **أطايب الكلم في بيان قانون صلة الرحم**، موقع الألوكة الإلكتروني.

لوصله، وقد رأيت في أحد المطارات -ذات مرة- امرأة غير مسلمة وهي في الخمسينيات من العمر ومعها ابنها الشاب وكأنه لا يلقي لها بالاً، والأم -أصلاً- لا تبالي بلباسها ولا بتدخينها للسجائر ولا بتصرفاتها التي لا تليق في ديننا الإسلامي، فقلت في نفسي: إن للدين أثراً بالغاً في بر الوالدين وصلة الأرحام، فكلّما كان المرء ملتزماً بالدين والخلق كان برّه وتقديره وإعانته أكثر قابليّة لمن يحيطون به والعكس بالعكس، وعندها لا يستغرب المتأمل حال كثير من الغربيّين في التعامل مع والديهم وأعمامهم وأخوالهم وأبناء عمومتهم؛ إذ إن المنظومة كلّها منطوية على إشكال في المنهج الحياتي والسلوك الإنسانيّ القويم، بينما يرى المرء المسلم أمّه وأباه أو جدّه وجدّته أو عمّه أو عمّته بزيّ الدين؛ صلاةً وصياماً وحجاباً ووقاراً وتصدّقاً وحجّاً وحديثاً طيباً، فلا يملك إلا أن يبرّهم ويحسن إليهم بكل أنواع الإحسان ووسائله. ومن التطبيقات التي تتفرع عن هذا الأصل، وتسهم في بث الروح الإيمانية المؤثرة إيجابياً في تمكين الأسرة الممتدّة:

أ- استثمار شهر رمضان المبارك:

فهو موسم مهمّ للأسرة الممتدّة المسلمة؛ ذلك أنه فرصة لاجتماعها حول وجبتي السحور والإفطار.[1] وفيه تقلّ أوقات العمل وتقترب النفوس من الله تعالى، ويمكن استثمار الشهر بما يأتي:

- إحياء ليلة تجمع الوالدين وأولادهم والأعمام والأخوال وأولاد الجميع، بدءاً بالإفطار ثم صلاة التراويح ثم محاضرة تجمع ما بين الأصالة والمعاصرة، وتطرح فيها معاني الخير والبرّ، ويمكن أن تستضيف العائلة إمام المسجد محاضراً.
- الصلاة جماعة بأهل البيت بعد عودة الرجل من صلاة المسجد، فعَنْ جَابِرٍ ﷺ قَالَ: "كَانَ مُعَاذٌ ﷺ يُصَلِّى مَعَ النَّبِىِّ ﷺ ثُمَّ يَأْتِى قَوْمَهُ فَيُصَلِّى

(١) في حين أنها في غير رمضان تتفاوت أوقات جلوسها مجتمعة للطعام.

بِهِمْ."[1] وصلاة الجماعة العائليّة لها أثر في تمسك الأسرة والتفاف أفرادها حول بعضهم.

- عمل تطوعيّ بين أفراد الأسرة الممتدّة يقوم على تفطير الصائمين أو جمع الزكوات وتوزيعها أو توزيع الطعام الزائد عن الحاجة، ومهمّة ذلك بعيدة المدى؛ إذ تربي أفراد الأسرة الممتدّة على البذل والالتقاء على الطاعة.[2]

ب- العمرة العائليّة:

وهي رحلة إيمانيّة طويلة -نسبيّاً- تضم أفراد العائلة (الآباء والأولاد والأحفاد)، يخرجون من أعباء الدنيا ومشكلاتها الاجتماعيّة، ويتفرغون لإصلاح أنفسهم وتربية أولادهم بما تحمله من برامج إيمانيّة وثقافيّة وتعاونيّة، وتبقى لها ذكريات جميلة في نفوس أفرادها، وأثر يظهر تمتيناً للدين، وتمكيناً للعلاقات الأسريّة الممتدّة.[3]

ت- المسابقات القرآنية:

وهي فكرة إيمانيّة وتحفيزيّة لجميع أفراد العائلة على استمرار العلاقة بالقرآن الكريم، ويمكن تقسيم إقامتها لمراحل:

- تشكيل لجنة عائليّة مصغرة لإدارتها، ويفضّل أن تضمّ أفراداً من العائلة لهم علاقة وطيدة بحفظ القرآن.

---

(١) متفق عليه، انظر:
- البخاريّ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل. **الجامع الصحيح**، بيروت: دار ابن كثير واليمامة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، باب: إِذَا صَلَّى ثُمَّ أَمَّ قَوْماً، ج٣، حديث رقم٧١١، ص٢٠٠.
- مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج. **الجامع الصحيح**، بيروت: دار إحياء التراث العربي، (د. ت.)، باب: الْقِرَاءَةِ فِي الْعِشَاءِ، ج٢، حديث رقم٧٠٩، ص٤٨٨.

(٢) اللجنة التربوية بموقع المسلم. **أكثر من ٣٠ أسلوباً لتربية الأسرة في رمضان**، موقع صيد الفوائد.

(٣) وقد قام بهذا الباحث نفسه -والحمد لله-؛ حيث أشرف على رحلة عمرة لعائلته، ضمت خمسين مشاركاً، وكان لها أثر إيجابي كبير.

- تحديد محاور المسابقة ومستوياتها بحسب أعمار المشاركين في حفظ سور أو أجزاء معينة من القرآن الكريم.
- الإعلان عن وقت لإجراء الاختبار، وذلك بحسب إمكانيّة أفراد العائلة المستهدفين.
- إقامة حفل عائلي لتوزيع الجوائز على المتميزين، وتكون عادة مقدمة من مقتدري العائلة مالياً، لكن مع مراعاة حرمة بذل الأطراف المشاركة كلها للجوائز من مالهم لئلا يصبح الأمر قماراً، لكن إن كان المتبرع بالجوائز طرفاً واحداً منهم أو خارجاً عنهم فقد رجح أهل العلم جواز ذلك.[1] وقد قامت بعض العائلات بإقامة مسابقات قرآنية سنوياً، ولاقت تجربتها إقبالاً طيباً وأثراً مباركاً على ترابط الأسرة الممتدّة بجميع أعمارها، وذلك ببركة كتاب الله تعالى وحفظه.[2]

ث- الفعاليّات التثقيفيّة الدينيّة:

وهي متعددة بتعدّد المناسبات، فالمحاضرات المتعلقة بمولد النبي ﷺ فرصة للتمسك بسنته الشريفة، وذكرى الهجرة النبويّة فرصة لالتقاء العائلة حول معانيها، ورمضان وفعالياته، ووفاة أحد أفراد العائلة فرصة للوعظ والتذكير، وموسم الحجّ يتطلّب فعاليّة في مقاصده وأحكامه، ويمكن أن يؤدّى ذلك عن طريق بعض أفراد العائلة ويشارك في إعداده الكبار والصغار، فينمي الإيمانيّات ويعمّق الصلات ويصنع عائلة متميّزة دينيّاً واجتماعيّاً.

---

(١) شبير، محمد. "أحكام المسابقات المعاصرة"، الدورة الرابعة عشر لمجمع الفقه الإسلامي، الدوحة، ص١٣-١٥.

(٢) الصنيع، هناء. **أفكار دعوية مع الأهل**، موقع صيد الفوائد الإلكتروني. وللباحث تجربة -والحمد لله تعالى- دامت ثلاث عشرة سنة وما زالت في مسابقة سنوية تؤتي أكلها في تحفيظ العائلة، وتُسهم سنوياً في جمع شملها من خلال الاختبارات والأحفال وبركة القرآن الذي تلتف حوله. انظر:
- الشلتوني، أنور. **إنها عائلة قرآنية**، موقع مكتوب ببلو الإلكتروني.
- **إعلان المسابقة**، موقع مكتوب ببلو الإلكتروني.

جـ- الاشتراك في الأضحية:

وهو جائز لشركاء سبعة في البدنة أو البقرة الواحدة.[1] لما رواه جابر ﷺ قال: نحرنا مع رسول الله ﷺ عام الحديبية البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة.[2] والأضحية عبادة مباركة تجمع أفراد الأسرة الممتدّة على عبادة، وتخفّف عنهم من أعباء التضحية، وتعمّق الصلات على أمر فيه تربية للنفس وتعليم للفداء.

٢- برّ الوالدين وشمول مفهوم البرّ الأجداد والأعمام:

لا يقف برّ الأب والأمّ عندهما، فالجدّ أب والجدّة أم؛[3] فلهما على الإنسان ولادة وإن كانت غير مباشرة، ولذا فهما يقومان بالولاية والحضانة مقام الأب والأمّ عند فقدهما. ومن وفاء العبد لوالديه أن يكون وفيّاً لجدّه وجدّته، وكذا لأعمامه وأخواله؛ فهم الأسرة الأوليّة لأبيه وأمّه، ومن وفاء العبد لأمّه وأبيه أن يبرّ عمّه وعمّته وخاله وخالته، فيقرّ عين أبيه وأمّه. وبرّ الوالدين له وسائل كثيرة ومتنوّعة، ووسط غمرة انشغال الناس اليوم بالماديّات، وكثرة ضياع الأوقات، يمكن اللجوء إلى التطبيقات التالية وغيرها لتدارك برّ الوالدين وما يستلزمه من برّ ذوي الصلة التي لا توصل إلا بهما، ومن هذه التطبيقات:

أ- اعتماد وسائل التذكير المعاصرة بالبَرّ:

ومنها:

- المواد التسجيليّة الصوتيّة والمرئيّة من محاضرات ومواعظ، وملفّات حاسوبيّة كالصور المعبّرة عن البرّ والوفاء.

---

(١) ابن قدامة، عبد الله بن أحمد. **المغني**، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٥هـ، ج١١، ص٩٧.

(٢) مسلم، **صحيح مسلم**، مرجع سابق، باب: الاشتراك في الهدي وإجزاء البقرة والبدنة كل منهما عن سبعة، ج٢، حديث رقم١٣١٨، ص٩٥٥.

(٣) وقد قال أهل اللغة: إن الجد يسمّى أباً وإن بعُد، بينما لا يسمى أحد بالوالد إلا الوالد المباشر. انظر:
- العسكري، الحسن عبد الله بن سهل. **الفروق اللغوية**، القاهرة: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، (د. ت.)، ج١، ص٥٦٦.

- استخدام الهاتف والحاسوب في توقيت بعض أعمال البرّ، كالزيارات والهدايا والتفقّدات لهما؛ لأن الإنسان ينسى.

- تعليم الأبناء والبنات كيف يبرّون أجدادهم وجدّاتهم من خلال القدوة والجائزة، حتى تصبح الصلة سجيّة من سجاياهم، وقد يذكّرون والديهم بصلتهم فيما بعد.[1]

ب- عمل الأولاد من بنين وبنات في البَرّ كفريق:

وذلك من خلال:

- الاتفاق على توزيع أعمال البرّ للوالدين وأقرب الناس إليهما كالجدّين والأعمام والعمّات، وقد تكون أعمال البرّ قضاء حوائج أو استضافة في البيوت، أو نفقات مترتبة على الوالدين وبيت العائلة، وتلمّس حاجاتهما ورغباتهما.

- اللقاء الدوريّ في بيت الوالدين أو من كان منهما موجوداً، فهذا حريّ أن يبعث في الوالدين -ومن يتبعهما في البرّ- الراحة النفسيّة والشعور بالأنس بأولادهم وقد اجتمعوا حولهم.

ت- استمرار الرابطة الأخويّة وتنميتها بعد وفاة الوالدين برّاً بهما:

والتي قد يكون من ثمارها:

- عمل مُلتقيات دورية للأولاد والأحفاد بعد وفاة الوالدين والدعاء لهما وصلة أحبابهما والبقاء على عهدهما.

- عمل صدقة جارية عن الأبوين يستمرّ فيها أجرهما وبرّهما، كوقفية خيرية أو مشروع يدرّ نفعاً على المجتمع، والصدقة عن الأبوين بعد الممات

---

(١) الصقير، سليمان. **مائة وخمسون طريقة ليصل برّك بأمك**، الرياض: دار الوطن للنشر، ١٤٣٤هـ، ص١٨.

مشروعة.[1] فعَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- أَنَّ رَجُلاً قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ إِنَّ أُمِّي افْتُلِتَتْ نَفْسُهَا وَأُرَاهَا لَوْ تَكَلَّمَتْ تَصَدَّقَتْ، أَفَأَتَصَدَّقُ عَنْهَا؟ قَالَ ﷺ: "نَعَمْ تَصَدَّقْ عَنْهَا."[2]

٣- صلة الرَّحِم والإحسان إليها وتوسيع دائرة الأسرة الرحميّة بالتصاهر والرّضاع:

قديماً كانت الأسرة الممتدّة تجتمع في (بيت العائلة) وذلك لبساطة الحياة ويُسرها، ثم لجأ كثير من الناس -وما يزالون- للتقارب جغرافياً في المساكن. ومع تعقّد الحياة وكثرة الناس اتجه كثيرون للاستقلاليّة والنأي بالسكن إلى مناطق متباعدة، فلا يكادون يتزاورون، وفي ظل ذلك الواقع يمكن اللجوء لتطبيقات معاصرة تُسهم في صلة الأرحام ومنها:

أ- الدواوين والملتقيات:

نشأ في بعض الأسر الممتدّة ما يسمى (ديوان العائلة) أو الرابطة، وهو ملتقى يجتمع فيه أفراد الأسرة الممتدّة المنتمين إلى جدّ واحد أو جَدّين أخوين من حين إلى حين، فيتراءون ويتحاورون وتعمّهم البهجة بلقاء يغلب على طابعه -في العادة- الانفتاح والتلقائيّة، ومن الثمار المميّزة لهذه الملتقيات والدواوين:[3]

---

(١) الكاساني، علاء الدين. **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع**، بيروت: دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٠٦هـ، ج، ص١٢٢.

(٢) البخاريّ، **صحيح البخاريّ**، مرجع سابق، بَاب: مَا يُسْتَحَبُّ لِمَنْ تُوُفِّيَ فُجَاءَةً أَنْ يَتَصَدَّقُوا عَنْهُ وَقَضَاءِ النُّذُورِ عَنْ الْمَيِّتِ، ج٤، حديث رقم٢٧٦٠، ص٨. (وافتلتت نفسها: أي ماتت فجأة)، انظر: - ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي. **فتح الباري في شرح صحيح البخاريّ**، بيروت: دار الفكر، (د. ت.)، ج٣، ص٢٥٥.

(٣) العساف، أحمد بن عبد المحسن. **الملتقياتُ العائليّة: المجتمعُ الجديد**، موقع صيد الفوائد الإلكتروني.

- صلةُ الرَّحم وبرُّ الأقاربِ ورؤيةُ أبناءِ العائلةِ المقيمينَ في أماكنَ بعيدة، فهو مظلَّةٌ مناسبَةٌ لحلِّ الخلافاتِ الأسريّةِ. وصلة الرحم أصل عظيم في تمكين نظام الأسرة الممتدّة، والنصوص الآمرة بها أكثر من أن تحصى، وقد ربط الإسلام "الرَّحِم"[1] باسم الله (الرّحمن)، وحذر من قطعها أيما تحذير، فعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ: "الرّحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله."[2] وقد استمدّ الفقهاء من النصوص الآمرة بصلة الرحم وجوب صلتها وتحريم قطعها.[3]
- المحافظةُ على تاريخِ الأسرةِ وموقعِها في المجتمع، والتعرفُ -عنْ قربٍ- إلى كبراء الأسرةِ والنَّهلِ مِنْ معينِهم.
- رعايةُ شؤونِ أفرادِ الأسرةِ وكفالةُ المحتاجين، وتخفيف الأعباء الماليّة عن أفراد بعينهم، وتوزيع التكافل على المجموع.
- المحافظةُ على أبناءِ العائلةِ مِنْ الانحرافات، من خلال ما يعرض في هذه الملتقيات من تثقيف وأنشطة تربويّة.

ومن ملامح إنشاء هذه الدواوين العائليّة:

- يتطلب تجميع العائلة جهداً جادّاً من إنسان مخلص وصبور، فإن أفكار الأفراد تتباين وأمزجتهم متغيّرة، ولا ينبغي الشعور باليأس من البدايات، والأجر على قدر المشقّة المبذولة، فهذا العمل من أكثر وسائل صلة الرحم نفعاً.

---

(١) "الرَّحِم" في اللغة: بيت منبت الولد، ويطلق على الأقارب الذين يجمع بين الإنسان وبينهم نسب. انظر:
- ابن منظور، **لسان العرب**، مرجع سابق، ج١٢، ص٢٣٠.

(٢) مسلم، **صحيح مسلم**، مرجع سابق، باب: صلة الرحم وتحريم قطيعتها، ج٤، حديث رقم٢٥٥٥، ص١٩٨١.

(٣) النفراوي، أحمد بن غنيم. **الفواكه الدواني**، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينيّة، (د. ت.)، ج٢، ص٣٨٦.

- قد يتيسر للأسرة الممتدّة مكان خاص للديوان، وقد يبدأون ملتقاهم في البيوت حتى يتيسر لهم تهيئة المكان.
- لا بدّ من إدارة للملتقى تلقى قبول الأفراد، وتستفيد من تجارب السابقين، وتخطط للأعمال في مشورة.
- بعد استتباب إنشاء الديوان تتفرع عنه أنشطة كصندوق العائلة ولجنة الإصلاح ومجلة ثقافية وفعاليات المناسبات، واستثمار المكان في العائد المادّي الذي قد يعود من تأجير المقرّ لبعض مناسبات العوائل الأخرى.[1]
- لا بدّ وأن يكون في الديوان عمل لتفعيل دور النساء ولقائهن، وللشباب واهتماماتهم، وللأطفال وتنميتهم.

ب- لجنة للإصلاح والتحكيم:

تطبيقاً لما أوصى به الشرع من إصلاح ذات البيْن والتحكيم بين الزوجيْن والمتخاصميْن ودرءاً لقطيعة الرحم، فإن مما ينبغي الاهتمام به في الديوان العائليّ أو رابطة الأقارب في الأسرة الممتدّة تشكيل فريق أو لجنة خاصة بالإصلاح بين المتخاصمين، سواء كانوا أزواجاً أو أقارب نزغ الشيطان بينهم بسبب من أسباب الخصومة والجفاء. وقد ندب الشرع إلى الصلح والإصلاح بين الناس،[2] وبيّن مدى فضله وأجره في نصوص كثيرة منها: قوله تعالى ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ [النساء: ١١٤]، وقال الله تعالى آمراً بالصلح: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الحجرات: ١٠]. والنبي ﷺ يقول: "الصُّلْحُ جَائِزٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، إِلاَّ صُلْحاً حَرَّمَ حَلاَلاً، أَوْ أَحَلَّ

(١) العساف، **الملتقيات العائليّة: المجتمعُ الجديد**، مرجع سابق.

(٢) الحطاب، أبو عبد الله محمد الطرابلسي. **مواهب الجليل**، بيروت: دار عالم الكتب، ١٤٢٣هـ، ج٧، ص٣..

حَرَاماً."[1] وقد ندب عمر ﷺ القضاة للإصلاح فقال: "رُدُّوا الْخُصُومَ حَتَّى يَصْطَلِحُوا، فَإِنَّ فَصْلَ الْقَضَاءِ يُورِثُ بَيْنَهُمُ الضَّغَائِنَ."[2] وما دام الإصلاح قائماً بين الناس فالعائلة في مأمن من اتساع الخلافات وتعمّق العداوات، فإن كثيراً من تفكك العوائل ناتج عن خلافات اتسعت وطالت ووصلت إلى المحاكم -أحياناً-، ولم تجد من يتصدّى لها بالتهوين والإصلاح، ولأداء هذه المَهمّة العظيمة لا بدّ من مراعاة أمور:

- الإصلاح فنّ ينبغي تعلّمه؛ إذ إن بعض الناس يتصدّى للإصلاح فيُفسد أكثر مما يُصلح.
- لا يجوز الصلح بإقرار ضياع حقّ لله أو حقّ لأحد المتخاصمين، فالصّلح المُحلّ للحرام أو المحرّم للحلال مردود.[3]
- لا بدّ من معايير إرادة الخير والعدل والحياد وحفظ الأسرار والحرص على الألفة والصبر على ذلك، واتّباع أساليب الحوار والوصول للحقّ، ومتابعة الصلح حتى يتحقق المقصود.[4]
- ولمراعاة تلك الأمور فلا بدّ من توعية الفريق القائم بالإصلاح لفنّ الإصلاح، ويتطلّب ذلك عقد دورة متخصصة في فنون الإصلاح، يتعلم الفريق فيها طرق الحوار وأساليب إزالة أسباب الخصومة، والتدرّج للوصول للثمرة المقصودة.

---

(١) الترمذي، محمد بن عيسى. **سنن الترمذي**، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٨م، باب: ما ذكر عن النبي ﷺ في الصلح بين الناس، حديث رقم١٣٥٢، ص٢٨. وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٢) الكاساني، **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع**، مرجع سابق، ج١٥، ص٣٤.

(٣) ابن القيم، محمد بن أبي بكر الزرعي. **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، بيروت: دار الجيل، ١٩٧٣م، ج١، ص١٠٧.

(٤) البلوي، فهد. **فن الإصلاح بين الناس**، موقع صيد الفوائد الإلكتروني، ص٢٢.

ت- تفعيل وإشراك الأصهار وأقارب الرضاع في الملتقيات:

مما يزيد تمكين نظام الأسرة الممتدّة، وتقوية النسيج الاجتماعيّ لها، أن يلتفت أبناؤها لأصهارهم ومن تجمعهم بهم علاقة الرضاع، فيشركونهم في أفراحهم ومناسباتهم المتنوعة، ويكرمونهم مع المكرّمين، ويعودون مريضهم ويُواسون مصابهم، وهذا من الإحسان الذي أُمِر به المسلم إلى أصهاره، ومن شاركه الرضاعة من أمّ واحدة. ومن حِكَم التصاهر العظيمة توسيع دائرة العلاقة بين البشر، وفي هذا امتداد أسريّ جديد للإنسان، يؤكد مقصد الإسلام في التواصل والتراحم، وتمكين النظم الاجتماعيّة بين الناس، ويحققّ للإنسان -الذي قد لا يكون نسبه ممتداً أو قويّاً- علاقة جديدة يتقوّى بها، ويستعين بها على معيشته وشؤون حياته.[1] كما أنه بوابة نسب جديدة لأولاد الإنسان وأحفاده، وبها يزداد الولد جداً وجدة وخالاً وخالة، ولكل منهما أولاد وهكذا. وقد وصي النبي ﷺ بالإحسان إلى من ربطته بهم مصاهرة؛ فيقول فيما يرويه عنه أبو ذر رضي الله عنه: "إنكم ستفتحون أرض مصر وهي أرض يسمى فيها القيراط، فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها، فإن لهم ذمة ورحماً. -أو قال- ذمة وصهراً." فدلّ هذا على أنّ الإحسان إلى الأصهار مطلوب، ويشمل ذلك الإحسانَ بالقول الحسن أو بالفعل النافع، وبكلّ إحسان يجلب الألفة والمودة بين الجميع. وأهل كل زوج ليسوا برحم للزوج الآخر لكنهم رحم لأولاده، وصلتهم أقلّ ما يُرى فيها الاستحباب، لوصيّة النبي ﷺ بهم كما مرّ، ولأنه من حسن العشرة لزوجه، كما أنّ المصاهرة سُنّة ومِنّة من الله تعالى، وأخوّة في الدين زادت وتعمّقت بالتصاهر والزواج.

وأما الرضاع فتوسيع لدائرة الأسريّة، وتقوية للمجتمع.[2] ذلك أن الذي

(١) وقد رأى الناس ذلك واقعاً؛ فبعض الناس يسافر أولاده أو لا يرزق البنين ونحو ذلك، فيجد العون في أصهاره وأهل بيت زوجه.

(٢) الأشقر، عمر سليمان. **الواضح في شرح قانون الأحوال الشخصيّة الأردني**، عمان: دار النفائس، ط٤، ١٤٢٩هـ، ص١٥٥.

رضع من امرأة صارت أمّاً رضاعيّة له، وأقرباؤها أقرباؤه، لقول الله تعالى في بيان المحرمات من النساء ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [النساء: ٢٣]. ولقول النبي ﷺ: "يَحْرُمُ مِنْ الرَّضَاعِ مَا يَحْرُمُ مِنْ النَّسَبِ."[1] وقد يقلّ أقارب الإنسان لموت أو سفر، فيجد قريبه من الرضاع يشاركه حاجاته ويواسيه في ملمّاته، وقد يكون مَحرماً لبنته أو أخته في سفر ما، وغير ذلك من الصور التي تتجلى فيها حكمة توسيع دائرة العوائل بالرضاع المحرّم، ويصبّ هذا في تمكين عرى العلاقات في المجتمع وجعلها أساسا قويّاً متيناً.

ث- الرّحلات العائليّة:

من الوسائل المعاصرة لتواصل الأسرة الممتدّة خروج أفرادها في رحلات مشتركة، إمّا طويلة كالعمرة وإما قصيرة كرحلة ترفيهيّة أو استكشافيّة، وهي من الأمور المحبّبة للنفس لما تحتويه من المتعة والفائدة، ومن فوائدها المتعددة:[2]

- تقوية الروابط الأسريّة بين الأب وأبنائه وأحفاده.

- التفكّر في عظمة الخالق، والتعلّم الذاتيّ وذلك بزيارة الأماكن التاريخيّة ومعرفة ثقافات الأمم.

---

(١) متفق عليه، انظر:
- البخاريّ، **صحيح البخاريّ**، مرجع سابق، بَاب: الشَّهَادَةِ عَلَى الْأَنْسَابِ وَالرَّضَاعِ، حديث رقم٢٦٤٥، ج٣، ص١٧٠.
- مسلم، **صحيح مسلم**، مرجع سابق، باب: تحريم الرضاعة من ماء الفحل، حديث رقم١٤٤٥، ج٢، ص١٠٦٩.

(٢) الحسين، عبد الكريم. **الرحلات العائليّة**، موقع صيد الفوائد الإلكتروني.

- تعويد الأفراد -لا سيما الناشئة- على الإيجابيّة وتحمل المسؤوليّة، وروح العمل الجماعيّ.

ولنجاح الرحلة في أداء رسالتها الاجتماعيّة لا بدّ من توافر بعض المقومات ومنها:

- الإعداد الجيد للرحلة مع استحضار الهدف منها، ودعوة الأفراد المقصودين دون نسيان أحد.
- تكليف الجميع بمهامّ -ولو كانت محدودة-؛ حتى يشعر الكل بالمساهمة والإيجابيّة.
- إدخال برنامج تثقيفيّ ورياضيّ؛ حتى لا تنحصر الرحلة في الترفيه فتخرج عن هدفها المنشود.
- المحافظة على الضوابط الشرعيّة كضبط الاختلاط بين الرجال والنساء غير المحارم، والمحافظة على الصلوات، وتجنب المزاح المحرّم ونحو ذلك، فإن الالتزام بالشرع عائد على الرحلة بالبركة والحفظ بإذن الله تعالى.[1]
- ومن الأمور المحببة في الرحلات الأسريّة أن تشترك الأسر في الطعام الذي جلبته أسر مثلها، فيقتسم الجميع الطعام المشترك وتعمّ البركة التي بينها النبي ﷺ في الطعام المشترك.

جـ- الإفادة من الفضاء الإلكتروني بأشكاله المتعددة:[2]

فقد بات الفضاء الإلكترونيّ اليوم مجتمعاً جديداً يجمع الأفراد ويقرب البعيدين منهم، وميزات الفضاء الإلكترونيّ تكمن في الانفتاح الجغرافيّ الواسع والسرعة في التواصل والمتعة والجذب في العرض، فيبيت وسيلة اتصال مسهمة

(١) المرجع السابق.

(٢) والفضاء الإلكترونيّ وسيلة من وسائل صلة الرحم وليس كل الصلة، فينبغي إضافته إلى الوسائل الأخرى من زيارة وتكافل ونحوهما.

في التواصل الأسريّ والترابط الاجتماعيّ. ومن أشكال التواصل العائليّ عبر الفضاء الإلكترونيّ:

- المواقع الإلكترونيّة:

وهي حزمة صفحات معلوماتيّة معروضة على شاشة الحاسوب، يتم الدخول إليها عبر روابط واصلة بجهاز الحاسوب الرئيس المخزنة عليه،[١] وبالإمكان تسخير هذه الصفحات لعرض ما يخصّ الأسرة الممتدّة من شؤون، كمعلومات عامّة عن الأسرة وأهمّ الأنشطة لديوانها وتوثيق ذلك بالصور والصوت، فإذا ما أراد المستخدم الدخول إلى التفاصيل الخاصّة فإنه يمكن تخصيص اسم وكلمة سر لأفراد العائلة ليتسنّى لهم الدخول إليها دون غيرهم. ومن نماذج بعض المواقع الأسريّة (العائليّة):

- موقع عائلة النجار في فلسطين: وفيه تعرض أخبار العائلة ومناسباتها، ومعلومات عن المتميّزين من أبنائها، ويوجد فيه بعض الإعلانات عن مصالح تجاريّة لبعض أفراد الأسرة.[٢]
- موقع عائلة شبير في فلسطين والشتات: ويعرض لأخبار العائلة وإنجازات أبنائها، وأسماء وفيات العائلة، وصور المناسبات التي تمرّ بها، وكيفيّة التواصل مع العائلة وأفرادها، ونحو ذلك من الفوائد الأسريّة.[٣]

وهذه المواقع هي ثمرة للتواصل المستمرّ بين أفراد العائلة، وتقوم على جهود وأموال أبنائها المخلصين، ولها فوائد جمّة في متابعة أخبار العائلة وإنجازاتها، وتُشعر الأبناء بالانتماء لعائلتهم، والسير على خطى آبائهم، ويمكن إنشاء الموقع بسهولة وُيسر، وبخاصة أن شركات الحاسوب تنتج الآن أقراصاً مدمجة تحوي

---

(١) ويكيبيديا، مصطلح "ويب/ موقع". موقع الموسوعة الحرة على الإنترنت.

(٢) موقع عائلة النجار الإلكتروني.

(٣) موقع عائلة شبير الإلكتروني.

Open-kan.com

موقعاً متكاملاً، وما على المستخدم إلا تنزيله على جهاز الحاسوب، وتفريغ ما أراد من بينات وملفات في أقسامه مما تتعلق بالعائلة ومعلوماتها.[1]

- المدونات "الإلكترونيّة" Blog:

والمدونة "الإلكترونيّة" نوع من أنواع المواقع "الإلكترونيّة" إلا أنها محدودة المحتوى، ففي الغالب تحوي موضوعات ثقافيّة وتوثيقيّة مشفوعة بالصور والبيانات، ويمكن اللجوء إليها ابتداء؛ وذلك لكونها مجانيّة الاستخدام، والموضوعات التي يتناولها المدونون في مدوناتهم تتراوح بين اليوميّات والخواطر والتعبير المسترسل عن الأفكار، والإنتاج الأدبيّ ونشر الأخبار. وكذلك توجد مدونات تقتصر على شخص واحد وأخرى جماعيّة يشارك فيها العديد من الكتّاب، ومدونات تعتمد أساساً على الصور photoblog والتعليق عليها.[2]

- مواقع التواصل الاجتماعيّ:

انتشر مؤخراً ما يعرف بمواقع التواصل الاجتماعيّ، وأشهرها "فيسبوك" facebook، و"تويتر" twitter و"سكايب" skype، وبات كثير من أفراد الأسر الممتدّة يتواصلون فيما بينهم من خلالها، اتصالاً صوتياً ومرئياً وكتابياً، وفي النواحي الدينيّة والاجتماعيّة والنفسيّة. ويتميز التواصل بين أفراد الأسرة من خلال هذه الوسائل بالسرعة وسعة الانتشار وعناصر التشويق في العرض، مما

(١) ولقد وقف الباحث على شركة قدّمت منتجاً متميزاً متخصصاً بالأسرة والعائلة اسمه **"أرحامي"**، ويعمل بعد شراء المستخدم له على تنزيل البيانات الخاصة بالعائلة ومنها: شجرة العائلة وأرقام هواتف أفرادها، وزوايا خاصة بالنساء والأطفال، وآخر الأخبار، وقسم للتواصل عبر أفراد العائلة، وتقويم للمناسبات المهمة، وملفات خاصّة بالصور والمقاطع المسجلة، وهو جهد مشكور، ويعتقد الباحث أنه أول إنجاز تقنيّ متخصّص في هذا المجال المهمّ دينياً واجتماعياً: انظر:
- موقع أرحامي الإلكتروني.

(٢) ويكيبيديا، مصطلح "مدونة"، موقع الموسوعة الحرّة الإلكتروني: http://ar.wikipedia.org. ولعائلة الباحث مدونة إلكترونية باسم مدونة عائلة الشلتوني (http://shalatoni.maktoobblog.com). وتعرض لمقالات لبعض أفراد العائلة، وأخبار عن مسابقة القرآن الكريم ونحو ذلك.

جعل بعض أفراد الأسرة يتبادلون التهاني والتعازي وكل المشاعر من خلاله، وحتى يؤتي أكله لا بد مما يلي:

- إدراك أن التواصل بين أفراد الأسرة من خلاله لا يكفي، ولا يجوز أن يشغل عن التواصل بالزيارة كما أسلفت، فإن الإشكاليّة أن تكثر هذه الوسائل وتقل الزيارات والتواصل الحقيقيّ، وذلك نظراً للعزلة التي يعمقها الإدمان على متابعة هذه المواقع، فإذا حدث التواصل مع الأقارب فإنّ العلاقة تغدو شكليّة حاسوبيّة محضة.(١)
- حبذا لو كان للعائلة الواحدة مجموعة خاصة لا يدخلها إلا أفرادها، وذلك حفظاً للخصوصيات ما أمكن.
- تلافي المخالفات الشرعيّة التي قد ترتكب من خلال التواصل فيه، كعرض الصور غير اللائقة للمستخدم، والحديث غير المنضبط بين الجنسين من غير المحارم، وإفشاء الأسرار الخاصة، وتداول بعض الأمور المنكرة ديناً وعرفاً، وذلك باق - مع سهولته وإتاحته- على الحرمة والإنكار الشرعيّ الذي يجب أن يراعيه المسلم في كل أحواله.(٢)

- استخدام البريد الإلكتروني والهواتف بأنواعها:

مع كثرة الهواتف وخدمات البريد الإلكترونيّ، وسهولة استخدامها وانتشارها دخلت لزاماً في حياة الناس اليوم، وصارت -ولله الحمد- تؤدّي دوراً كبيراً في صلة الأرحام، وذلك من خلال:

---

(١) أميني، ماهر سقا. **آثار مواقع التواصل الاجتماعيّ**:
- http://maher-s-k.maktoobblog.com

(٢) من إشكاليات العالم الافتراضيّ أن المتّصل يستشعر أنه بعيد عن اللوم والحرج؛ لأنه -ربما- غير موجود بذاته، وقد يستطيع أن ينفي التهمة عن نفسه، لكثرة الوسائل التي صارت تسمح بالتدخل بالحسابات وانتحال الشخصيّات، ولكن الوازع الدينيّ الذي يُنمّى بالتأسيس التربويّ ينبغي أن يؤتي أكله في هذه المرحلة، بعد الأخذ بالأسباب وكثرة التوجيه والمتابعة، والتوكل على الله تعالى أولاً وآخراً.

- الاتصال بالأقارب والاطمئنان على أحوالهم وتلمس حاجاتهم ومشاركتهم أفراحهم وأحزانهم، وهذا يُعدّ نوعاً من الصلة لا يستهان به، وبخاصة إذا كان الطرفان في بلدين متباعدين.
- توصيل المعلومات عن موعد اللقاء أو الزيارة أو عيادة المريض، وفيها يستأذن الزائر ويعتذر المشغول ويسترشد الزائر العنوان، ونحو ذلك من الخدمات التواصليّة الاجتماعيّة.
- تبادل الرسائل الـمُصلحة للقلوب المخففة للأحزان والمعززة للسلوكات الطيبة التي تستحق الشكر والتعزيز، وبها يذكّر بالسنن والدعوات وكل وجوه الخير والبرّ.

فوجب على المرء شكر الله تعالى على هذه النعمة بأداء حقّها من حسن الصلة واستثمارها بالخير، وإعفاف اللسان عن الحرام فيما يقال فيها، وأن تعدّ وسيلة لتقارب الأسرة، وأن لا يستغنى بها عن الزيارة وحضور الملتقيات.[1] كما أن هناك فكرة خادمة لهذه التقنية الأسريّة، وتكمن في جمع أرقام الهواتف العائليّة والعناوين الإلكترونية وتوزيعها على الجميع بما فيهم أولاد الأعمام وأولاد الأخوال، حتى يسهل التواصل معهم في أثناء العام وفي المناسبات المختلفة. وقد سئل الشيخ ابن باز -رحمه الله- عن الاتصال بالهاتف وإذا كان يعدّ صلة رحم، فكان من جوابه: "هذا يختلف من حال إلى حال، فإذا كان الذهاب بالنفس ضروريّاً فلا بدّ من ذلك، وإلا فالهاتف والمكاتبة تكفي والحمد لله، فالسؤال بطريق التلفون أو المكاتبة أو الزيارة كل هذا طيب، لكن إذا دعت الحاجة إلى الذهاب إليهم لمواساتهم أو لمرضهم أو نحو ذلك فمن صلة الرحم الذهاب إليهم، وإذا تيسرت صلته من دون زيارة بالمكاتبة -مثلاً- مع صلته إذا كان فقيراً بإعطائه حاجته فلا بأس، فاتقوا الله ما استطعتم."[2]

---

(١) فوزي، إبراهيم. **ثلاثون طريقة لخدمة الدعوة عن طريق التلفون**، موقع صيد الفوائد الإلكتروني.

(٢) ابن باز، عبد العزيز. **إجابة عن سؤال صلة الرحم عبر الهاتف**، موقع الشيخ ابن باز الإلكتروني.

حـ- مجلّة العائلة الممتدّة:

من الأفكار التي قامت بها بعض العائلات ونجحت: فكرة المجلة الدوريّة، التي تجمع أخبار العائلة، ويكتب فيها المتخصصون من أبناء العائلة، وقد تكون ورقيّة أو إلكترونيّة، لكن فكرة الورقية فيها قد تعطيها انتشاراً أوسع بين يدي العائلة من صغار وكبار، ويسهل الرجوع إليها إذا تم الاحتفاظ بها بين الكتب، وهي مجلة يشارك في إعدادها الجميع ويفرحون بها، وهناك بعض الأمور التي يجب مراعاتها لنجاح المجلة:

- التأكد من صحة المعلومة المُدرجة فيها قدر الإمكان.
- ألا تزيد صفحات المجلة على بضع صفحات حتى لا تُملّ.
- التنوع في الموضوعات التي تهمّ كل من يقرؤها، مع الاختصار في كل منها.
- التركيز على العائلة وأخبارها وعيادة المريض وتهنئة الناجح والعائد من السفر، ومن تزوج أو رزق بالمولود.[1]

وغير بعيد عن فكرة المجلة الأسريّة، اقترح يوسف السعيد العمل على إخراج مجلة دورية مجتمعية بعنوان (عائلتنا الممتدّة) تعالج شؤون العائلة الممتدّة، وقال في سياق تسويغه لفكرته، "هناك مجلات تسعى جاهدة للحفاظ على تماسك الأسرة النواتيّة في عالم يضج بالتحللات الأسريّة، وبمحاولات جادّة لتدشين قوانين أسريّة مخالفة لشرع رب العالمين، فإذا كانت الأسرة النواتيّة هي المحضن الشرعيّ للطفل؛ فإنّ الأسرة الممتدّة هي المحضن الشرعيّ للأسر النواتيّة التي تتقاذفها التيارات العولمية لفكّها وجعلها كعقد لؤلؤ انفرطت حبّاته."[2]

---

(١) الصنيع، **أفكار دعوية مع الأهل**، مرجع سابق.

(٢) السعيد، **اقتراح مجلّة العائلة الممتدّة**، مرجع سابق.

خ- شجرة العائلة:

من التطبيقات التي تبني -إلكترونياً- على ما سبق ذكره، ما اصطلح على تسميته (شجرة العائلة)، التي تبدأ من جذرها بالجدّ الأكبر ويتفرع عنها أولاده -بنين وبنات- وأولادهم وهكذا، وقد يقول قائل: وما الحاجة لهذا والعائلة معروفة؟! والجواب أن هذه الشجرة تبقى على مرّ السنين تتفرع مع العائلة، وتأتي الأجيال تلو الأجيال فيعرف بعضها بعضاً: من وُلد، ومن توفي، ومن تزوج، وهكذا، ويستشعر الناظر فيها وحدة الأسـرة الممتدّة وعلاقاتها الرحمية المباركة، ويعرف حق الآخرين وحقه على الآخرين من خلال معرفته بتلك الدقائق.[1]

٤- التكافل العائلي بشقّيه الإرشاديّ والنفسيّ:

يظن بعض الناس أن التكافل لا يكون إلا مالياً، والحقيقة أن التكافل أنواع، من أهمّها الإرشاديّ والنفسيّ، اللذان يقومان على مراعاة كيان القريب ونفسه ومشاعره، ويتواصلان مع روحه وليس مع جسمه فحسب. ومن التطبيقات الخادمة للجانب الإرشاديّ والنفسيّ، والممكّنة لنظام الأسرة الممتدّة ما يلي:

أ- البرنامج الثقافيّ العائليّ:

يمكن أن يقوم المتخصصون من أفراد الأسرة الممتدّة بعمل برنامج تثقيفيّ إرشاديّ لأفراد العائلة، يجمع بين التثقيف والمتعة والتواصل العائلي المستمرّ، فإذا توفر لديهم المكان الثابت كالديوان ونحوه فهذا هو المطلوب، وإلا فيمكنهم عقده في البيوت الكبيرة، ويمكن أن تشمل هذه الموضوعات بعض ما يأتي:

- الأحكام الشرعيّة للعبادات اليومية لأفراد العائلة، من طهارة وصلاة ويمين ولباس وزينة ونحوها.

---

(١) وهناك برنامج حاسوبيّ يمكن أن يساعد على إنشاء تلك الشجرة لمن أراد البداية في هذه الفكرة الإبداعيّة.

- الاقتصاد البيتي وتوجيهات في الاعتدال في الإنفاق، ووسائل تنمية الدخل، والحثّ على العمل والكسب.
- توقّي الأمراض الدارجة كتسوّس الأسنان والسّمنة والاكتئاب، وكيفيّة العلاج منها، والإسعافات الأوليّة.

ولنجاح تلك الملتقيات التثقيفية ينبغي العمل على:[1]

- التنويع في أساليب التوجيه، واستخدام المحاضرة والحوار والندوة، وإرفاقها بالعرض المرئيّ جلباً للمتعة والتشويق.
- عقد المسابقات العائليّة العلميّة والرياضيّة المصاحبة للبرنامج الثقافي، وتعزيز الفائزين بالجوائز الممكنة.
- الاهتمام بجميع الفئات كالأطفال والشباب والفتيات وكبار السن، ومناوبة الفعاليات لتشمل اهتمامات الجميع.

وهذا كله يقع في أهمية التكافل الإرشاديّ بين أفراد الأسرة الممتدّة، وهو جانب راعاه الإسلام وأمر به، فشرع بذل النصيحة، والنبي ﷺ يقول: "الدين النصيحة." فقيل: لمن؟ فقال: "لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم."[2] ومما أمر الله تعالى به على سبيل الإرشاد الولاية في التزويج، وذلك رعاية من الوليّ لموليته، ونظراً لمصلحتها، والنبي ﷺ يقول: "لا نكاح إلا بِوَليّ."[3] والأولياء لا يخرجون عن الأب والجدّ والابن وابن الابن والأخ وابنه والعمّ وابنه وعمّ الأب وابنه، وهؤلاء هم أفراد الأسرة الممتدّة للمرأة التي تريد الزواج، وكذلك ولاية القريب على المال، حرصاً من الولي على مال قريبه القاصر، وتصرفاً لمصلحته وتنمية لماله في بعض الأحيان، فينشأ القاصر

(١) العريني، حجاج. **نحو برنامج عملي للدعوة بين الأقارب**، موقع صيد الفوائد الإلكتروني.

(٢) مسلم، **صحيح مسلم**، مرجع سابق، باب: بيان أن الدين النصيحة، ج١، حديث رقم٥٥، ص٧٤.

(٣) أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستانيّ. **سنن أبي داود**، بيروت: دار الفكر، (د. ت.)، باب: في الوليّ، ج١، حديث رقم٢٠٨٥، ص٦٣٥. وقال الألبانيّ: (صحيح).

وكأنه جزء من هذا القريب، حتى لو لم يكن أباه، فيستشعر برّه والوفاء له. ومن التشريعات كذلك، ما اشترطه الشرع من مصاحبة المحرم للمرأة في سفرها، وذلك لقول النبي ﷺ "لَا تُسَافِرْ الْمَرْأَةُ ثَلَاثَةَ أَيَّام إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَم."[1] وفي اشتراط المحرم حفظ للمرأة وصيانة لعرضها وكرامتها، وفيه ملحظ متعلق بما نحن فيه من تقوية القرابة بينهما، حيث المفهوم التضامني ماثل من المحرم مع قريبته (أخته وعمته وخالته وبنت أخيه وبنت أخته، وحتى أم زوجته ونحوهن)، يسافر معها ويصحبها في ترحالها، وتشعر بالأمان بصحبته، فتكنّ له كل تقدير.

ب- التعامل باهتمام مع المشكلات الخطيرة في العائلة:

بعض المشكلات الأسريّة لا يُسكت عليها لخطورتها وتعدّيها، والأسرة جسد واحد ينبغي أن يتألم لأيّ مصاب فيه. ومع الانفتاح التواصليّ والحريّات غير المنضبطة تنتشر بين أفراد العائلة مشكلات تحتاج إلى إرشاد ومتابعة، كالتدخين عند الشباب والفتيات، وانتشار المخدّرات والمواقع الإباحية، وصحبة السوء والعلاقات المحرّمة. ومن التكافل الإرشاديّ للأسرة فيما بينها أن يلتفت إلى حلّ هذه المشكلات إما بالفعاليات العامّة التوجيهية، أو بالتوجيه الفرديّ والتدخّل في حل المشكلة مع الفرد نفسه إذا اقتضى الأمر.

ت- الإرشاد "الأكاديميّ":

ومما يرقى بالأسرة معرفياً وعلميّاً أن يهتم المخلصون والمتخصصون فيها بالإرشاد "الأكاديمي" التخصصي لأبنائها الطلبة، وقد تستضيف الأُسر بعض المتخصصين في الموضوع، فيثرون التوجيه ويديرونه ليحقق النجاح المنشود، ويمكن تحقيق ذلك من خلال:

---

(١) متفق عليه، انظر:

- البخاريّ، **صحيح البخاريّ**، مرجع سابق، باب: فِي كَمْ يَقْصُرُ الصَّلَاةَ، حديث رقم١٠٨٦، ج٢، ص٤٣.

- مسلم، **صحيح مسلم**، مرجع سابق، باب: سفر المرأة مع محرم، حديث رقم٨٢٧، ج٢، ص٩٧٥.

- النصح على المستوى الفرديّ والتوجيه لمن قصّر في تحصيله الدراسيّ.
- التقوية للطلبة في مواسم الامتحانات، كعقد لقاءات لتبيين طرق الدراسة الناجحة والتعامل مع الامتحانات.
- تنظيم ديوان العائلة لقاءات سنويّة إرشاديّة للطّلبة الخريجين من مرحلة الثانوية؛ لإرشادهم للتخصصات المهمّة والمؤثّرة في المجتمع.
- تكريم الطلبة المتفوقين "أكاديميّاً" في كل موسم دراسيّ، ولعلّ ذلك يعود عليهم بالتحفيز والنفع العلميّ والماديّ.

ث- تزويج الفتيات:

ومن التكافل الإرشاديّ والنفسيّ أن تلتفت الأسرة لبناتها اللواتي كبرن في السنّ ويكاد يفوتهن قطار الزواج.(١) وقد فتح الفقه الإسلاميّ باب عرض الأولياء بناتهم على الرجل الصالح، فإذا رأى الوليّ ذلك في بنته، يقوم إلى رجل ذي دين وخلق فيخبره بمن تحت ولايته، ويحصل على إثر ذلك القبول أو عدمه، وقد ذهب الشافعيّة والحنابلة إلى استحباب ذلك.(٢) واستدلوا بقوله تعالى على لسان شعيب عليه السلام: ﴿ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٢٧ ﴾ [القصص: ٢٧]. قال ابن العربي: "وفيه عرض الولي موليته على الزوج، وهذه سنة قائمة، فقد عرض صالح مدين ابنته على صالح بني إسرائيل، وعرض عمر بن الخطاب ابنته حفصة على أبي بكر وعثمان رضي الله عنهم جميعاً."(٣)

---

(١) ووجه كونه إرشاديّاً لأن الولي مرشد، ووجه كونه نفسياً لأن فيه تعاضداً نفسياً مع هذه المرأة التي وصلت سنّ الزواج.

(٢) الشربيني، محمد بن الخطيب. **مغني المحتاج**، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ، ج٣، ص١٣٩. وانظر:

- البهوتي، منصور بن يونس بن إدريس. **كشاف القناع، بيروت: دار الفكر، ١٤٠٢هـ، ج٥، ص٢٠.**

(٣) ابن العربي، محمد بن عبد الله. **أحكام القرآن**، بيروت: دار إحياء التراث، ج٦، ص٢٢٩.

obeikan.com

جـ- رعاية أيتام العائلة:[1]

وهـذا مـن أجـلّ أنـواع التكافـل الإرشـاديّ والنفسـيّ الأسـريّ وأهمهـا، فكثيـراً مـا يتوفـى الأب ويتـرك صغـاراً بحاجـة إلـى رعايـة سـواء فـي الأمـور الماليـة أو النفسـيّة أو التربويـة، ومـن هـو أولـى بكفالـة ورعايـة أيتـام الأسـرة نفسـها؟ والنبـي ﷺ يقـول: "أَنَـا وَكَافِـلُ الْيَتِيـمِ فِـي الْجَنَّـةِ هَكَـذَا -وَقَـالَ بِإِصْبَعَيْـهِ السَّـبَّابَةِ وَالْوُسْـطَى-."[2] فممـا يسـهم فـي حفـظ كيـان الأسـرة أن يلتفـت كبـار العائلـة لأبنائهـا الأيتـام بالرعايـة والتوجيـه والحفـظ، فهـم أمانـة فـي عنـق مـن يخلـف أبيهـم كإخوانـه وأعمامـه وهكـذا. ومـن أجـل الإرشـاد النفسـيّ شـرع الإسـلام كفالـة اليتيـم، ومشـاركة القريـب قريبـه أفراحـه وأتراحـه، وحـثّ علـى الهديـة والتهـادي، وكل ذلـك رعايـة للتكافـل النفسـيّ بيـن الأسـرة الممتدّة الواحدة.

٥- التكافل الماليّ العائليّ:

أ- الصناديق الماليّة العائليّة:

مما أسهم -وما زال- في حلّ مشكلات الأسر الممتدّة وسدّ حاجاتها ما اصطلح على تسميته "صندوق العائلة"، وهو -في الغالب- صندوق ماليّ تعاونيّ، هدفه التكافل وسدّ الحوائج العائليّة، ويدير شؤونه لجنة تشكّل عادة من ديوان العائلة الذي أشرت إليه سابقاً.[3] وتقوم بعض الأسر الممتدّة بوضع لائحة تنظم شؤون هذا الصندوق بأدقّ تفاصيلها حفظاً للحقوق، وتبيّن فيها مصادر الصندوق ومصارفه، ومن الذي يقضي في موجوداته، وماذا لو أرادت العائلة

(١) ولا أقصد هنا كفالتهم مادياً؛ فهذا يقع في الجانب التكافليّ المالي، لكن المقصود هنا جانب الرعاية النفسيّة والإرشاديّة والتربوية.

(٢) البخاريّ، **صحيح البخاريّ**، مرجع سابق، بَابُ: الزَّكَاةِ عَلَى الْأَقَارِبِ، حديث رقم٦٠٠٥، ج٨، ص٩.

(٣) في تطبيقات صلة الرحم.

openkan.com

إنهاء العمل به، وهكذا.[1] ولا بدّ من عرض تقرير سنوي عن حالة الصندوق ومصروفاته وموجوداته على الهيئة العامّة للصندوق وإقرارها من قبلهم.[2] ويستفيد من الصندوق حالات متعددة مشتركة بين كثير من صناديق العائلات التكافليّة ومنها:

- حالة وفاة أحد الأفراد المحتاجين.
- إعالة العاجز عن أداء العمل كلياً بتقديم راتب شهريّ له، وكذلك الأيتام والمطلّقات والأرامل.
- إغاثة من تعرض منزله من الأفراد لكارثة كالحريق والانهيار.
- منح إعانات سنوية نقدية أو عينية لبعض ذوي الدخول المحدودة.
- منح إعانة لبعض الاحتياجات كالزواج والتعليم والسفر والعلاج، وقد تعدّ قرضاً لمن يستطيع التسديد.

ومن ميزات هذه الصناديق الكثيرة أنها:

- تحقق شعيرة صلة الرحم التي تواترت نصوص الكتاب والسنة عليها.
- العمل على رفع المستويين الاجتماعيّ والمعيشيّ لأفراد العائلة.
- تنمية المواهب والمهارات بين شباب العائلة.
- إيجاد روح التعاون بين أفراد العائلة.[3]

ثم إنّ هذه الصناديق ترفع العبء عن كاهل أفرادٍ في العائلة بعينهم، فهي تعمل على التعاون والتكافل من الجميع، ويشعر المرء فيها بالإيجابيّة،

---

(١) وللمثال انظر: موقع عائلة الناجم الإلكتروني.

(٢) العساف، **الملتقياتُ العائليّة: المجتمعُ الجديد**، مرجع سابق.

(٣) المرجع السابق. انظر أيضاً:
- صندوق عائلة آل صنيع الخيري، الموقع الإلكتروني لعائلة آل صنيع الإلكتروني.

ويكسب الأجور العظيمة بدخول سهمه في الصدقة والقرض والتطوع بكلّ أشكاله، وفي التشريع الإسلامي ما يؤصّل لهذا الفعل الجليل، فالله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ [النحل: ٩٠]، ويقول سبحانه: ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٣٨﴾ [الروم: ٣٨]. وقد مدح النبي ﷺ تكافل الأشعريين الذين كانوا إِذَا قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ.(١) وقد أجاز الفقهاء دفع الزكاة لأصناف من الأقارب ومنعوه لأصناف غيرها، فأجازوا دفعها للحواشي من إخوة وأعمام وأخوال ومنعوه للأصول والفروع.(٢) وما عدا ذلك فلا بأس في دفع الزكاة له. وأموال الزكاة تبلغ حدوداً مجزئة تسدّ حاجة أفراد العائلة في بعض الأحيان، وكثير من المزكين ينسى هذا الباب، والنبي ﷺ يقول: "دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلك."(٣) ومن يقرأ هذا الحديث تداخله الغرابة من إنفاق كثيرين على أفراد من خارج الأسرة الممتدّة مع حاجة أفرادها الماسة، ولعل خوف بعض الناس من اتهامهم بالمحاباة لفلان أو استمرار القريب في الطلب غير المسوغ

---

(١) متفق عليه:
- البخاري، **صحيح البخاري**، مرجع سابق، بَاب: الشَّرِكَةِ فِي الطَّعَامِ، حديث رقم٢٤٨٦، ج٣، ص١٣٨.
- مسلم، **صحيح مسلم**، مرجع سابق، باب: من فضائل الأشعريين ﷺ، حديث رقم٢٥٠٠، ج٤، ص١٩٤٤.

(٢) وهذا ملخص أقوالهم مع بناء بعضهم لهذا على لزوم الإنفاق على المزكي وعدمه، لكن التحقيق بالجملة: أن من قال بمنع دفع الزكاة لمن تلزمه نفقة المزكى عليه يقول: بأن النفقة تلزم على الأصول والفروع، فالتقى القولان، إلا أن المالكية لا يقولون بلزوم نفقة الجد والجدة على المرء، فلو أخرج الزكاة لهم جاز، بخلاف الشافعية الذين يدخلونهما في الأصول والفروع.

(٣) مسلم، **صحيح مسلم**، مرجع سابق، باب: فضل النفقة على العيال والمملوك وإثم من ضيعهم أو حبس نفقتهم عنهم، حديث رقم٩٩٥، ج٢، ص٦٩٢.

من المنفق، وغيرها من الاعتبارات تجعل بعض المنفقين يتوجهون بنفقاتهم لغير الأقارب، لكن المبدأ قائم في تأكد استحباب النفقة على الأقارب في العائلة الواحدة، ويؤكده ما أخرجه الشيخان من أن النبي ﷺ قال في صدقة زَيْنَب -رضي الله عنها- عَلَى عَبْدِ اللَّهِ وَأَيْتَام فِي حجْرِهَا أتجزئ؟ فقَالَ: "نَعَمْ لَهَا أَجْرَانِ أَجْرُ الْقَرَابَةِ وَأَجْرُ الصَّدَقَةِ."[1] وفي الشرع نظام يسمى "العاقلة" تتكافل فيه عصبة القاتل خطأ بالدية عنه، فالقاتل خطأ تجب عليه الدية، لقول الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ ﴾ [النساء: ٩٢]، وقال جمهور العلماء: العاقلة على عصبة الرجل، وهم أقرباؤه الرجال من جهة أبيه كأخيه وابن أخيه وعمّه وابن عمّه وهكذا،[2] كما أعطى الإسلام الميراث لأقارب الإنسان، أصوله وفروعه وإخوانه وأبنائهم وأخواته وأعمامه وأبنائهم، وفي هذا شمول لدائرة العائلة في الميراث الذي هو جمع الرجل وكدّه وعناؤه، فكما أنهم يتضامنون معه في حياته فهم يرثونه بعد مماته، بينما كان العرب في الجاهلية يورّثون الابن الأكبر وحده، أو من يوالونه ويناصرونه ويناصرهم، وفي بعض الحضارات السابقة يختار مالك المال من يرثه أيّا كان قريباً أم بعيداً، لكن الإسلام عمّم

---

(١) متفق عليه، انظر:
- البخاريّ، **صحيح البخاريّ**، مرجع سابق، بَابُ: الزَّكَاةِ عَلَى الْأَقَارِبِ، حديث رقم١٤٦٧، ج٢، ص١٢٢.
- مسلم، **صحيح مسلم**، مرجع سابق، باب: فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد والوالدين ولو كانوا مشركين، حديث رقم١٠٠٠، ج٢، ص٦٩٤. وزينب هي الثقفية زوجة عبد الله بن مسعود -رضي الله عنهما-.

(٢) الشربيني، **مغني المحتاج**، مرجع سابق، ج٥، ص٣٥٨. انظر أيضاً:
- ابن قدامة، **المغني**، مرجع سابق، ج٩، ص٣٣٩.

النفع على معظم العائلة وخصّه بهم.[1] والله تعالى يقول: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴿٧٥﴾ ﴾ [الأنفال: ٧٥]، ولا شك في أنّ في تفتيت المال بين الأقارب تمكيناً للأسرة الممتدّة، فدخول الإخوة والأخوات في الإرث يشعرهم بعموم خير أبيهم لهم، ويمنع التحاسد والغّل من تفريقهم، فعدْلُ الله تعالى في ذلك يكفيهم ويصفّي نفوسهم، ثم إن الكفاية التي يصنعها التوزيع العادل في الميراث يعين الأسرة اقتصادياً ويكفيها بعض مؤونة المعيشة ونفقاتها.

ولقد فتح الله تعالى باباً واسعاً في الأجر لمن أراد أن يشمل بماله بعد وفاته أقاربه غير الوارثين، وهو باب الوصية، وهي: تَمْلِيكٌ مُضَافٌ إِلَى مَا بَعْدَ الْمَوْتِ بِطَرِيقِ التَّبَرُّعِ.[2] وبعض أفراد العائلة لا يرث الميت، إما لأنه غير وارث أو لأنه محجوب بشخص دونه، فيُشرع للإنسان أن يوصي له قبل وفاته بما يعينه ماليّاً ونفسيّاً.[3] وأضرب لذلك مثالاً عمليّاً بابن بنت الإنسان، فهذا الابن لا يرث من جده، وإنما يرثه أولاده وزوجته، وقد يكون الجد موسراً فيكتفون بما تركه لهم، ويبقى ابن بنته على حاله، وقد يكون متزوجا فقيراً ذا عيال، فلو أن الجدّ أوصى له قبل موته لشمله بالخير الذي فتح الله بابه له ولأقربائه، والوصية تصدّق والصدقة على الأقارب فيها صلة وصدقة. كما أن الوصية لمثل هؤلاء الأقارب تمنع ما قد يتسلل إلى نفوسهم من حسد أو غلّ على الوارثين الذين قد يرثون مالاً طائلاً، وغيرهم لا حظَّ له. وقد أجاز كثير من أهل العلم وقف النقود على الإقراض لحاجات المحتاجين، وذلك يُسهم في جعل تلك الصناديق

(١) الجبوري، عبد الله. **أحكام الميراث والوصايا**، الشارقة: مكتبة الجامعة، ط١، ٢٠١١م، ص١٠، ١٧.

(٢) ابن عابدين، محمد أمين بن عمر. **رد المحتار (حاشية ابن عابدين)**، بيروت: دار الفكر، ط٢، ١٩٩٢م، ج٦، ص٦٤٨.

(٣) الجبوري، **أحكام الميراث والوصايا**، مرجع سابق، ص١٨٣.

وقفاً يقترض منه المحتاجون كطلبة العلم، ثم يردّون ما اقترضوه بعد بدء عملهم بالتيسير، ليقترضه غيرهم وهكذا.[1]

ب- تشغيل العاطلين عن العمل:

من مهامّ الأسرة الممتدّة التكافليّة -وبخاصة إذا كانت ذات ديوان عائليّ فاعل- أن تعمل على تشغيل العاطلين عن العمل من أبنائها بما استطاعت؛ فإن تشغيلَ شابّ لا يعمل يوفرُ مصدر دخل لمن يعول، وذلك بخلاف التصدّق عليه وعلى من يعول في كل مرّة، وقد مدح الإسلام العامل وذمّ الذي يعتمد على الصدقات دونما حاجة، ومن وسائل التشغيل التكافليّة:

- الصناديق الوقفيّة العائليّة: ويكون عن طريق تقديمها المعونة لمن قعد عن العمل، وذلك بفتح مشروع صغير بطريق القرض -مثلاً-، ويعيده المقترض إذا أيسر.
- عمل مشاريع تجاريّة مشتركة بين أرباب المال في الأسرة، وتشغيل فئة من الشباب الذين يسدّون حاجة أسرهم النواتيّة، والاعتماد على طاقات الأسرة الممتدّة إذا كانت هذه المشاريع التجارية قائمة من طرف مستثمر واحد فيها.
- المساعدة في البحث عن العمل: وذلك بتشغيل فريق متفرغ ممن يجيدون التعامل مع الحاسب والصحافة المقروءة لحصر فرص العمل لمن قعد عنه وتعميمها على أبناء العائلة كنوع من المعونة على البرّ والتقوى.

وأهمّ ما في الأمر هنا هو إدراك الأسرة الممتدّة أنّ من أسباب تماسكها وقوتها أن يكون أبناؤها عاملين مطمئنين لأرزاقهم، كل منهم يسعى بالأسباب، ولا يصبح عالة على غيره. وهناك نوع من أنواع الأوقاف يسميه الفقهاء

(١) القرّي، محمد علي. "صناديق الوقف وتكييفها الشرعيّ"، ندوة الوقف في الشريعة الإسلاميّة ومجالاته، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٣م، ص١٥.

"الوقف الذُّرّيّ" (أو الأهليّ)، وهو ما جعلت فيه المنفعة لأفراد معينين أو لذريتهم سواء من الأقرباء أو من الذريّة أو غيرهم، وقد يشترط الواقف فيه أن يؤول إلى جهة برّ بعد انقطاع الموقوف عليهم، وفي هذه الحالة يعتبر وقفاً أهلياً ابتداءاً خيرياً مآلاً.(١) يروي أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ ﷺ يَقُولُ: كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ الْأَنْصَارِ بِالْمَدِينَةِ مَالاً مِنْ نَخْلٍ، وَكَانَ أَحَبُّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرُحَاءَ، وَكَانَتْ مُسْتَقْبِلَةَ الْمَسْجِدِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ، قَالَ أَنَسٌ: فَلَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [آل عمران: ٩٢] قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: ﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ [آل عمران: ٩٢]، وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءَ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ، أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ، فَضَعْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ حَيْثُ أَرَاكَ اللَّهُ. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "بَخ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الْأَقْرَبِينَ." فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ.(٢) وقد ذكر بعض أهل العلم أن ذلك كان وقفاً على الأقارب.

وأما القرض الحسن فمندوب إليه في حق المقرِض مباح للمقترض، لما روى أبو هريرة ﷺ من أن النبي ﷺ قال: "من نفّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفّس الله عنه كربة من كرب يوم القيام."(٣) وعن أبي الدرداء ﷺ أنه قال: "لأن أقرض بدينارين ثم يردان ثم أقرضهما أحب إلي من أن أتصدق بهما".

---

(١) مجموعة علماء الفتوى. **أحكام الوقف**، موقع الأمانة العامة للأوقاف الكويتية الإلكتروني.

(٢) متفق عليه، انظر:
- البخاريّ، **صحيح البخاريّ**، مرجع سابق، باب: الزَّكَاةِ عَلَى الْأَقَارِبِ، حديث رقم١٤٦٢، ج٢، ص١٢٠.
- مسلم، **صحيح مسلم**، مرجع سابق، باب: فضل النفقة والصدقة على الأقربين، حديث رقم٩٩٨، ج٢، ص٦٩٣.

(٣) مسلم، **صحيح مسلم**، مرجع سابق، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، حديث رقم٢٦٩٩، ج٤، ص٢٠٧٤.

ولأن فيه تفريجاً عن أخيه المسلم وقضاء لحاجته وعوناً له، فكان مندوباً إليه كالصدقة عليه.[1] والقرض عون للأقارب على قضاء حوائجهم المباحة، ويقوي صلة المقترض بالمقرِض ما دام قد وفّى بسداد القرض دون مطل ظلم. ولا يخفى ما في كل أبواب هذه النفقة من صلة رحم وتكافل اجتماعيّ، وبرّ بذوي الحاجة، وأجر وثواب للمنفق، وتجسيد للمواساة والشفقة، ووحدة للحال بين أفراد العائلة، بما يكفل تعمق متانة نظامها وأدائها لرسالتها الاجتماعيّة على أحسن وجه.[2]

ت- الزفاف الجماعيّ ومساعدة المقبلين على الزواج:

من وسائل تخفيف الأعباء المالية عن أفراد الأسرة ما يطلق عليه "الزفاف الجماعيّ"، وهو اصطلاح انتشر مؤخراً، ويقصد به: إقامة حفل زفاف واحد لمجموعة من العرُس والعرائس في مكان واحد، بتكاليف يسيرة. ويشكّل العامل الاقتصاديّ الدافع الأكبر لإقامتها، وتقوم عليها في الغالب المؤسسات المعنيّة بالأسرة والزواج. وتتلقّى هذه الجهة رغبات المشاركين، فتعمل على الالتقاء بهم، وإبلاغهم بتفاصيل الحفل ومستلزماته، وتقوم بالتنسيق مع الجهات المختصة بتوفير مستلزمات الزفاف، وتعمل على تأمينها على شكل هبات وتبرعات أو بأثمان يسيرة، ويُدعى أهل كل زوجين وأقرباؤهم ومعارفهم لمشاركتهم فرحهم الجماعيّ، ثم يتمّ في الحفل ما قد يتم في أي حفل زفاف يتعارف عليه الناس،[3] ويمكن أن تحقق الأسرة الممتدّة بالزفاف الجماعيّ ما يلي:

- مزيداً من الترابط بين أفرادها وأسرها النواتيّة؛ لما في الزفاف الجماعيّ من التعاون والذكرى المشتركة بين الأسر.

---

(١) ابن قدامة، **المغني**، مرجع سابق، ج٤، ص٣٨٣.

(٢) عقلة، محمد. **نظام الأسرة في الإسلام**، عمان: مكتبة الرسالة الحديثة، ط٢، ١٤١١هـ، ج٣، ص٤٩٠.

(٣) سرحان، مفيد. **حفلات الزفاف الجماعيّة (دليل العفاف)**، عمّان: منشورات جمعية العفاف الخيرية، ص١٢٣.

- إعطاء مثل حيّ للتعاون والتكافل الاجتماعيّ من المنظور الإسلاميّ.
- التقدم خطوة نحو طريق التغيير الاجتماعيّ الخاص بمناسبات الزواج، من خلال التزام الناس بالبساطة وتيسير السبل في ابتداء الحياة الزوجيّة.[1]

ويمكن للأسرة أن تقوم بهذا الدور مستعينة بخبرات بعض المؤسسات الاجتماعيّة المتخصّصة، أو تلجأ إلى أحفال الزفاف الجماعيّة التي تقيمها هذه المؤسسات، ويقام الزفاف وتوفّر الأسرة على أبنائها كثيراً من النفقات التي يشترك فيها جميع العرسان، مع دعم مجزئ من العائلة ومن خارجها، وتتحقق الفرحة كاملة، وتضرب الأسر بذلك نماذج في التيسير والتضامن والتكافل الاجتماعيّ في أمر عظيم في الشرع وسنة الله سبحانه وتعالى في الخلق.

خاتمة:

الحمد لله رب العالمين، فقد يسّر الله تعالى بحث "التطبيقات المعاصرة الخادمة لتمكين نظام الأسرة الممتدّة في ضوء التشريع الإسلامي" وظهر أن المقصود من عنوانه تثبيتُ الرباط الاجتماعيّ الذي يجمع بين أفراد العائلة الكبيرة، وتتبّع التطبيقات المعاصرة التي تخدمه وتقويّه في ظلّ التحدّيات والمستجدّات المتسارعة، والنظر إلى هذه التطبيقات المعاصرة في ضوء التشريعات الإسلاميّة؛ إذ تمرّ الأسرة الممتدّة المسلمة بتحديات متعددة تتمثل بالتأثّر سلباً بالنظام الغربيّ، الذي يقوم على التحرّر المطلق ونـزعة الاستقلال الفرديّ، وتعاني الأسرة الممتدة كذلك من مشكلات داخلية أسهمت -كلّها أو بعضها- في توهين نظام الأسرة الممتدّة المسلمة، فهي في أحوج ما يكون للتمكين. والإضافة التي يقدمها البحث -فيما يرى الباحث- أنه يعرض للطرائق المعاصرة التي تُسهم بوضوح في تمكين نظام الأسرة ويقرّها الشرع الإسلاميّ ويؤيّدها؛ وذلك لما فيها من موافقة لمقاصده وغاياته، ويخصّ منها بالذكر التطبيقات التي تحفظ على الأسرة دينها وتقوّيه، كاستثمار شهر رمضان أسرياً ودينياً، وفكرة العمرة

(١) المرجع السابق، ص١٢٣.

العائليّة التربويّة، والمسابقات القرآنيّة العائلية، والفعاليات التوعويّة الدينيّة التي تسهم في تحقيق ذلك وتنمّيه، وإنشاء الدواوين العائليّة والملتقيات الدوريّة، وما يتفرع عنها من تشكيل لجان إصلاح وتحكيم بين المتخاصمين، وصناديق عائليّة وقفية ومؤقتة، يمكن بعد تنظيم شؤونها تنظيماً دقيقاً أن تُسهم في إقراض المحتاجين علميّاً وصحيّاً وعملياً. كما يضيف البحث دراسة عنصر تواصليّ عائليّ جديد يكمن اليوم في الفضاء "لإلكترونيّ" وفيه مجال رحب للأسرة الممتدّة، تلتقي فيه من خلال مواقع التواصل "الإلكترونيّ" ومواقع خاصّة بها ترسّخ وجودها في المجتمع وتربط أبناءها بها، وتعبّر عن مقدراتهم وإبداعاتهم وتؤسّس لإبداعات أسريّة كشجرة العائلة وأنسابها، ومجلة مقروءة تضم أخبارها ومناسباتها وخبرات أبنائها.

ومما أضافه البحث للتواصل العائلي مفهوم مهم يكمن في التكافل النفسيّ والارشاديّ الذي يمكن أن تنظّم من أجله –في ديوان العائلة– فعاليّات إرشاديّة "أكاديميّة" وعمليّة لإنضاج فكر الأسرة الممتدّة، والذي قد تنبثق عنه بعض الجهود الإرشاديّة والنفسيّة لتزويج الفتيات اللواتي بلغن مرحلة الزواج، ورعاية الأيتام من أبناء العائلة رعايةً إرشاديّة ونفسيّة تشارك في حفظهم وتنشئتهم أبناء إيجابيين. ثم إن الباحث قد ربط هذه التطبيقات كلها بالتشريعات الإسلاميّة التي تؤسس لهذه التطبيقات وتؤصل لها، ومنها برّ الوالدين وصلة الرحم، وتشريع النصيحة والمشورة والندب إليها، وتشرع أنواع الولايات على النفس والمال، واشتراط المحرم لسفر المرأة الذي يمثل نوعاً من ربط أفراد الأسرة ربطاً إرشاديّاً قويماً. ومن تشريعات الإسلام القويمة التي أوردها البحث ما أتى به من تشريع النفقات الواجبة والتطوعيّة بين الأقارب، والوقف الذُّريّ والقرض الحسن، ونظام العاقلة الذي يُسهم في التضامن مع القاتل خطأ من قبل عائلته. وبيّن أن الشريعة تورّث القريب من قريبه، وتدعو للوصية له إذا لم يكن وارثاً، بما يحقق له حياة كريمة، ويزيد علاقته بأهل المتوفى تواصلاً وتكافلاً.

وختاماً فإن الباحث يوصي بما يلي:

- تعميق دراسات الأسرة الممتدّة، من حيث واقعها الترابطيّ وعوامل الضعف المؤثّرة فيه، والتطبيقات العمليّة المتجدّدة التي تقوّي نظامها وتمكّنه، وذلك من خلال الملتقيات العلميّة، ورسائل الدراسات العليا في أقسام الفقه وأصوله وعلم الاجتماع الأسريّ.
- رفد الدواوين والملتقيات العائليّة بمادّة علميّة متكاملة يكون لها أثر إيجابي في تعزيز دور تلك الدواوين دينيّاً واجتماعيّاً واقتصاديّاً، وتتميّز بالبساطة والوضوح والعمليّة، فتؤدّي دور التأسيس لنظام أسريّ ممتدّ قويّ ومكين.
- دراسة آثار مواقع التواصل الاجتماعيّ خاصة، والفضاء "الإلكترونيّ" عامة، على واقع الأسرة الممتدّة إيجاباً وسلباً؛ وذلك للإفادة من هذه الدراسة في تعزيز الإيجابيّ من الآثار، ودفع السلبيّ منها.

واللهَ أسأل أن يتقبّل هذا العمل، ويغفر ما كان فيه من تقصير أو زلل، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.